القصيدة العربية الأطوار وشيء من الخصائص

الأبنية-الخصائص-المضامين

د. ياسين بن عبيد

**الـمواد**:

* تمهيد

❶. عن ميلاد الشعر المعاصر

❷. خصائص القصيدة العربية الجديدة

❸. أبرز شعراء العرب المعاصرين

❹. البيبليوغرافيا

**تمهيد:**

لا زال الشعر يحتل حيزا معتبرا في الحياة الثقافية العربية، ولا زال الاهتمام به ــــ على الصعيدين الإبداعي والنقدي ــــ على حاله، رغم ما تغير في الخريطة العامة للحياة العربية، ورغم التحولات التي يشهدها الإنسان العربي في أفقي حياته العامة والخاصة. لا زالت القصيدة المعاصرة تحمل الهموم نفسها التي حملتها في مراحل سابقة، ولا زالت تستصحب الإشكالات الجماليات نفسها، ولا زالت تفتح آفاق المساءلات كما فتحتها في ظروف زمانية وثقافية مغايرة.

غير أن هناك معطيات دخلت في حساب الدارسين، يدور مجملُها في مسألتي الشكل والمضمون، وفي مسألة التأثر والتأثير، وفيما يدخل في موضوع الاستمداد والاستقلال. فلم يستطع الدارسون البت الفعلي في هذه المسائل، باعتبار ما قدمناه، من أن الشعر مكون فاعل للوجدان العربي، وفي الجهة المقابلة، باعتبار ما تعيشه الإنسانية الحديثة من تقارب وتنافذ بين منظوميتن حضاريتين، إحداهما غالبة مهيمنة والأخرى مغلوبة مفتوحة على التأثر بمختلف أشكاله.

تدور مساءلات القصيدة المعاصرة في هذا الفلك، وعلى الغالب فهي تجترّ أسئلةً طرحها الوجدانُ الغربي الذي هو مصدر هذا الجديد الطارئ على الرؤية العربية للأدب بصورة عامة، وللشعر بصورة خاصة. فحتى مع ظهور أسماء كبيرة هيمنت على المشهد الشعري العربي، واعتدّت بها التجرية العربية أيما اعتداد، وبالرغم من تسجيل إنجازات قوية تجاوز البعضُ منها ما عرفته العربية على مر عصورها، إلا أن الموضوعية لا تستطيع أن تبتعد بهذه المنجزات وأصحابها عن نطاق التأثيرات الوافدة، تلك التي فرضت أنماطا جديدة في الكتابة الشعرية، وألزمت الشاعر العربي المعاصر بتجديد رؤيته للكون، وخضت كثيرا من المسلمات، وحملت على الكتابة وفق رؤاها لا وفق حاجة المثقف العربي المعاصر.

على قدر ما يطرح المقياسُ مشكلة المرجعية، يطرح مسألةَ توفير الرؤية الشعرية الجديدة لمقتضياتها، والآفاق التي تريد أن تمضي إليها، بناءً على حاجة داخلية، واتكاءً على أدوات هي من صميم التجربة العربية.

كما يطرح البدائلَ التي تفرضها كل تجربة جديدة، في الأفق الإنساني العام، وليس العربي وحده، لأن الجديد الذي لا يحمل في ضمنه الإقناع بتجاوز القديم المستهلَك، مصاحبا للتحول الذي يريد الذهاب إليه، فما هو بجديد يستحق الاعتبار.

ويطرح، من جهة ثالثة، مشكلة جدوى الشعر من عدمه في زمن اختراقات العولمة، ومدى قدرة الشعر على تكييف حياة الإنسان مع بيئته الجديدة ومتطلباتها المختلفة كل الاختلاف عما سبق.

ويطرح، من جهة رابعة وأخيرة، مسألة الإضافة إلى الوافد من جهة، وإلى الماضي الذي لا يمكن التجربةَ الجديدةَ إلغاؤُه. فالوعي بأننا نعيش مرحلة تداخل المنظومات الثقافية، واستمداد بعضها من بعض، على فرض الكافؤ بينها والتوازن بين منجزاتها، فإن ذلك لا يعفي المنظومة العربية من الاكتفاء الاستهلاكي بما يأتيها من الغير.

سيعترض الطالب بهذا الصدد عدد وفير لا يأتي عليه الحصر من المصادر ومن المراجع، وسيحيره حيرة كبيرة المقدار من الآراء غير المتقاربة في موضوع القصيدة العربية المعاصرة، وذلك أمر طبيعي، لأن قراءة المنجز الشعري كونيا وعربيا لا يمكن أن يتوافد عليها النقاد من زاوية واحدة، بأدوات متشابهة وبمقاصد تختلف باختلاف الدارسين والنقاد تكوينا ومعالجةً.

هذا التنوع هو الذي يذهب بالناظر في التجربة العربية المعاصرة مذاهب الحيرة وصعوبة الاختيار، وأحيانا تصل الحيرة إلى التشكيك في التجربة العربية من أوائلها إلى الظرف الذي نحن فيه، ذلك أن كثيرا ممن يقفون من مسألة التأثر بالغير موقفا غير ممانع، يرون من غير تَحرُّجٍ أن المنجز العربي لم يكبر في الوجدان العربي الذي احتضنه إلا لأن النظرة إليه كانت منحازة، أي بعيدة عن التقويم النقدي الذي يصف التجارب على حقيقتها ولا ينتصر إليها انتصارًا اعتباطيا.

في كل حال، أنتج الإقبالُ على التجربة الشعرية المعاصرة أدبياتٍ غيرَ محدودة الحجم، وقراءاتٍ إن كانت لا تمللك القولَ الفصل فهي بتنوعها تشير إلى أن البنية الإبداعية وأختها النقدية أتيتا بمختلف يصعب تجاوزه، وإن في حال الخلاف معه. ولعل هذا المختلف يقف جزء كبير ومهم منه على مشكلة استسهال الكتابة الجديدة لدى الجيل الجديد، والهوس بتجاوز القديم لأنه لم يعد يمثل عصره.

طبعا تدخل في الدرس اعتبارات وسائل انتشار العينات الجديدة، غير الناظرة إلى مؤهلات التجربة الوجودية والعملية، تلك التي تلتفت إلى مواهب الشعراء بدل أشخاصهم، وتلك التي تراعي فيهم رسالة الأديب قبل سمعته.